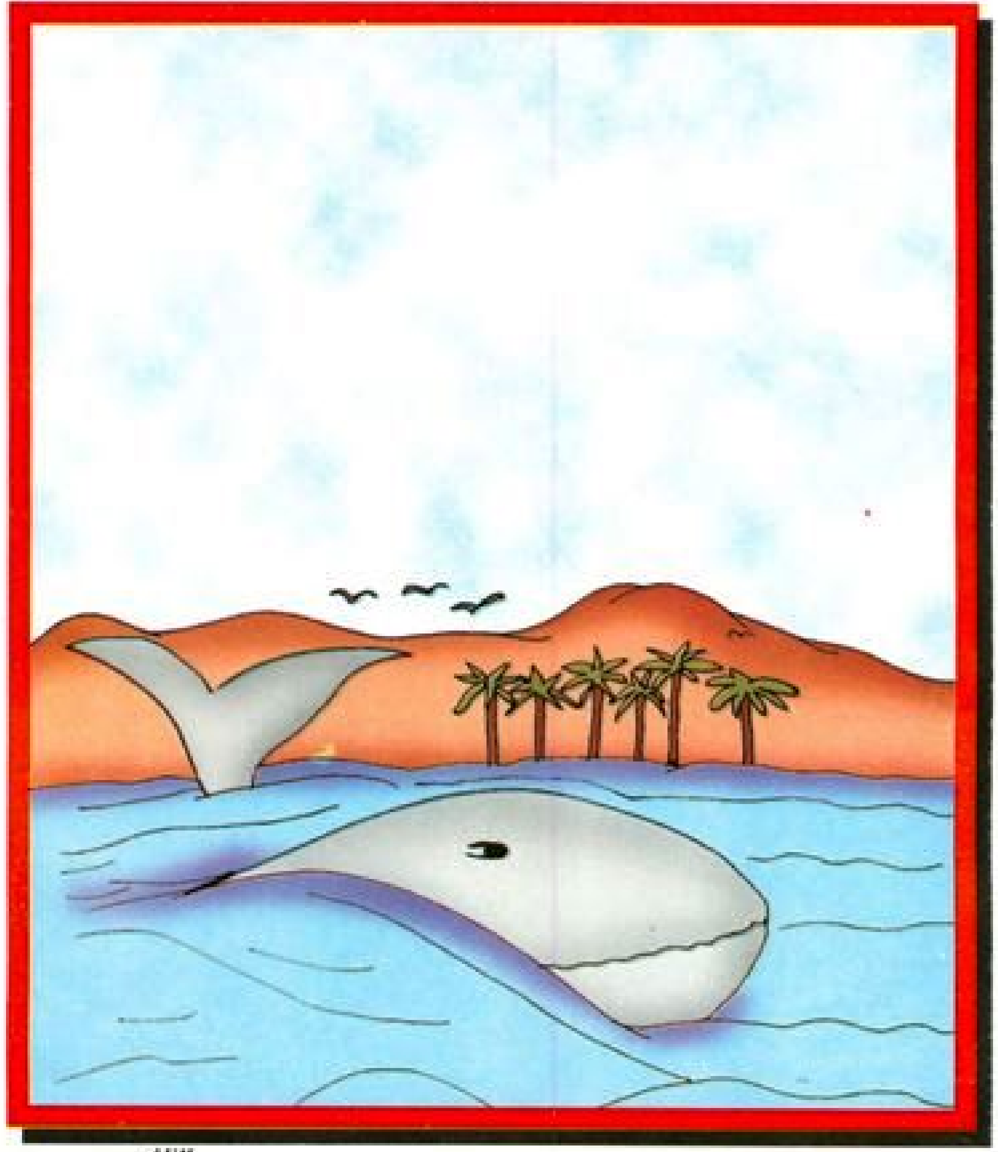
من أسماء الله الحسنى

التواب

الحوت الكبير



مادة ورسوم

شوقي حسن

الناشر

مكتبة مصر

شارع كامل صدقي - الفجالة

١ ـ كانَ الأستاذُ حسن يقرأُ جريدَةَ الصَّباحِ ، حينَ سمعَ طَرقًا على باب شقّتِه ، فطلبَ من ابنِهِ هشام أن يرى من الطّارق .

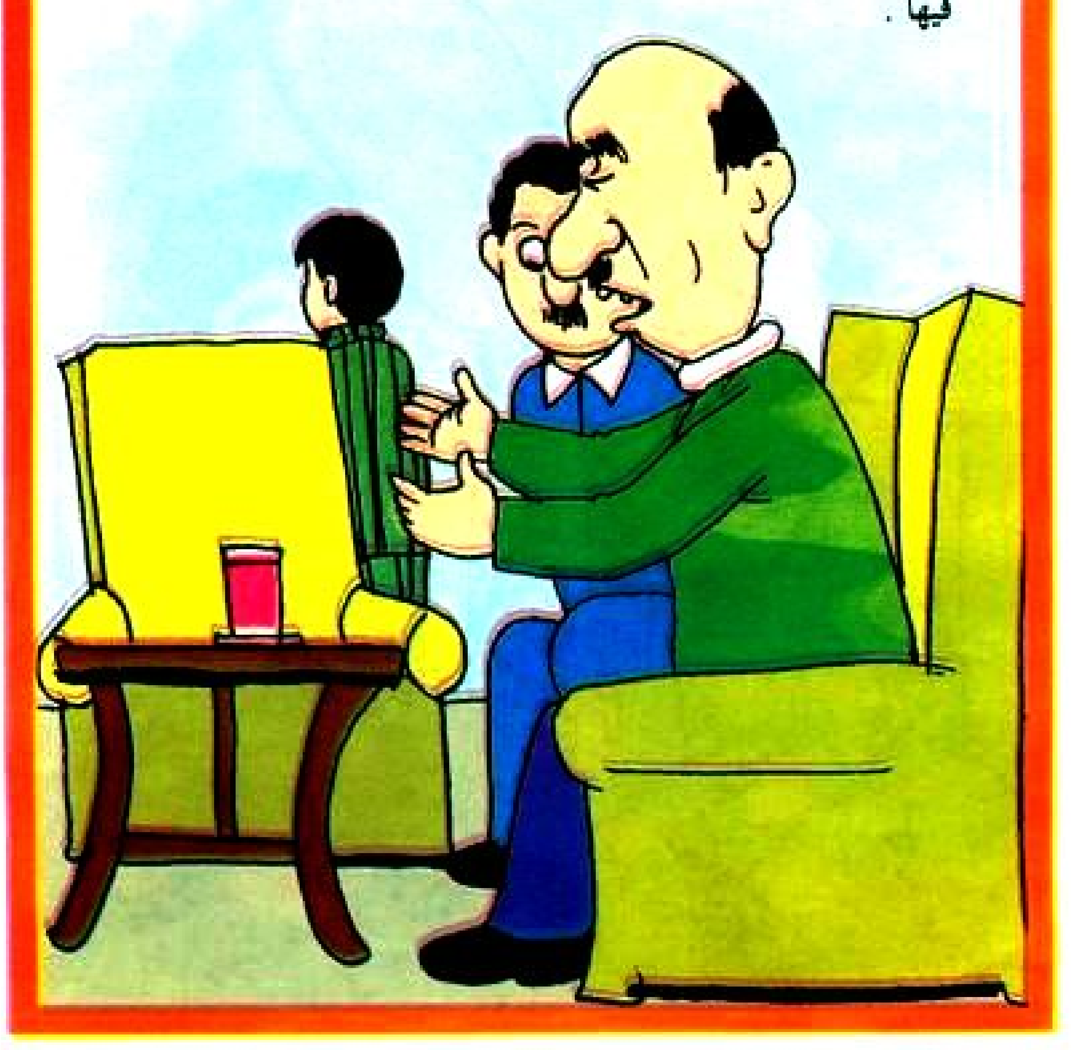
وعاد هشامٌ وقال : إنّه العمُّ حامدٌ يطلبُ أن يَراك .



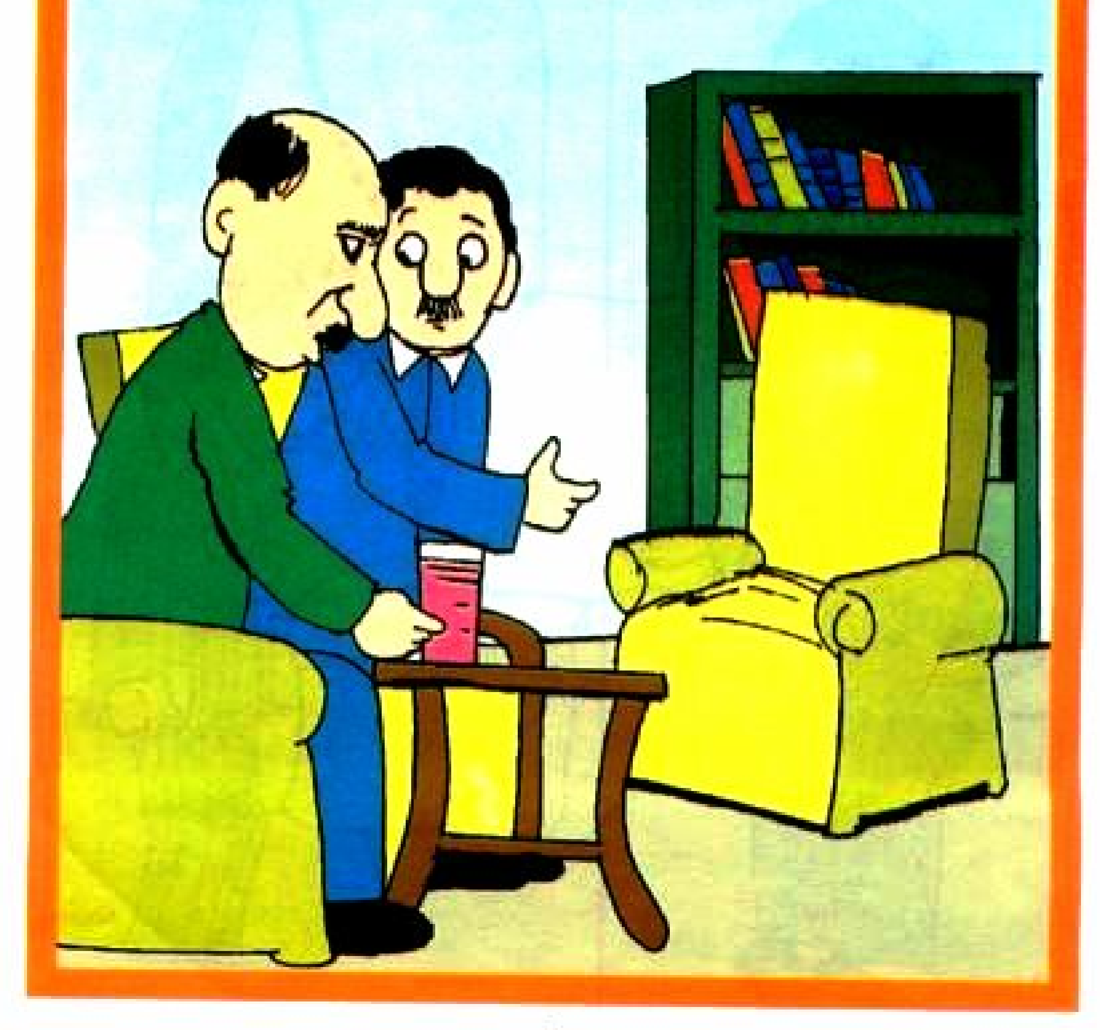
٢ ـ قامَ الأُستاذ حسن يستقبلُ ضيفَه ، ويَدعوه للدُّخول . فلمّا جلسا في غُرفةِ الاستِقبال ، قال العَمُّ حامد في حُزنٍ وخَجل : الحَقيقةُ أنّي أتيتُ أشكو إليك من سوءِ مُعاملةِ الجيران ـ بل وكلّ النّاس ـ لي. ورغمَ توبتي الصّادقة ، فإنّ النّاسَ لم تَنسَ الخطأ الوحيدَ الّذي ارتكبتُه .



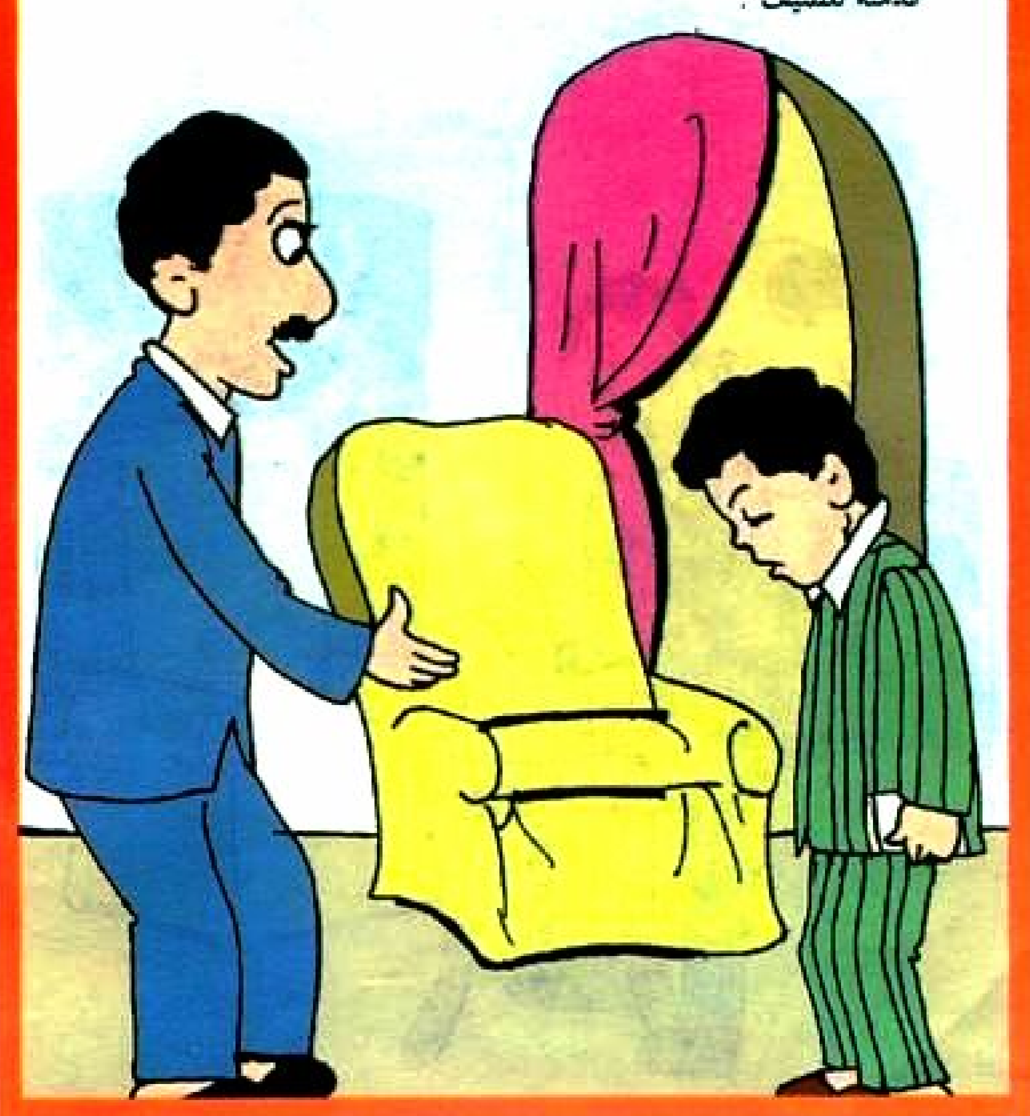
٣ ــ قالَ الأستاذُ حسن في دَهشة : ولكنْ هذا شيءٌ مضى وانتهى ، واللّه ـ سُبحانَه وتعالَى ــ يقبلُ التّوبة ، فلماذا لا يقبلُها النّاس ؟ قال العمُّ حامد في أسى : إنّهم يُذكّرونني دائما بما فعلته ذاتَ يوم ، وأعلنتُ عنه توبتي . وها قد مضى عامٌ كاملٌ لم أرتكبْ فيه أيّ خطأ ، وصرتُ الآنَ أعمَل وأكسِبُ من عرقِ جبيني ، وإنْ كان ما أكسِبُه نُقودًا قليلة ، ولكنّي أحمَدُ اللّهَ عليها ، ويُباركُ اللّهُ لي فيها .



٤ ــ قالَ الأستاذُ حسن ، وهو يقدِّمُ لضَيفِه كوبًا من عَصيرِ الفَواكِه : لا تحزَن ياعمّ حامِد ، وسوفَ أتحدَّثُ إلى الجيرانِ في هذا الخُصوص . قالَ العمُّ حامِد وهو ينهَضُ من مَقعَدِه : وأنا ما جئتُ إليك إلاّ لما أعرِفُه عنك من طيبَةِ قلبك، وحبِّكَ فِعلَ الخَير ، فشكرًا لك .



٥ ـ قال الأستاذُ حسن وهو يُودِّع العمَّ حامِد : لاشكرَ على واجِب ياعمَّ حامد . وعندما انصرفَ العمُّ حامِد قال هشامٌ لوالِدِه : لقد سمعتُ يا أبي طرَفًا من الحديثِ بينَك وبينَ العَمِّ حامد . فقاطعه والِدُه : وكيفَ سمحتَ لنفسِك بذلك ؟ قالَ هشامٌ في أدَب وهو يُخفِض رأسَه : سَمِعتُه يا أبي في أثناءِ إحضاري كوبَ العَصيرِ الّذي قدمته للضَّيف .



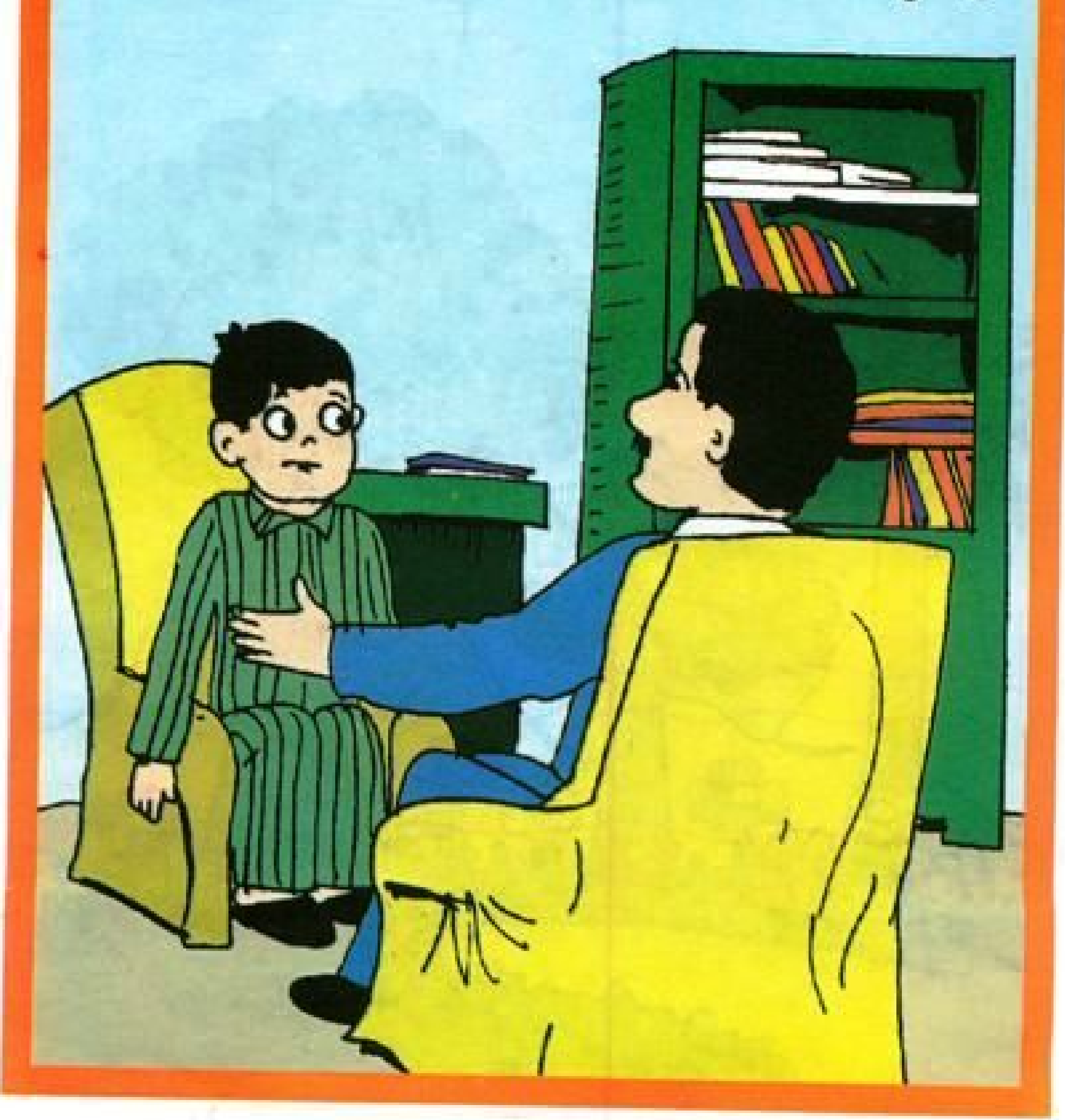
٦ ـ قالَ والِدُه : أنتَ تعرِفُ العمَّ حامد ياهشام ، وتعرِفُ أنّه ارْتكبَ خطأً ذاتَ يوم ، ولكنَّ النّاسَ لم يَنسوا له ذلك . قال هشام : أسمَعُهم يقولون إنّه لِصّ . قالَ والِدُه : لا يابُنيّ لقد فعلَها مرّةً واحدةً في حَياتِه ، حيثُ مرِضَ ابنُه ، ولم يَجد عندَه ثمنَ الدّواء ، فاضطُرَّ للسّرقة واعترفَ بخَطئه ، فتابَ ، وتابَ اللّهُ عليه ، واللّه توّابٌ رحيم .



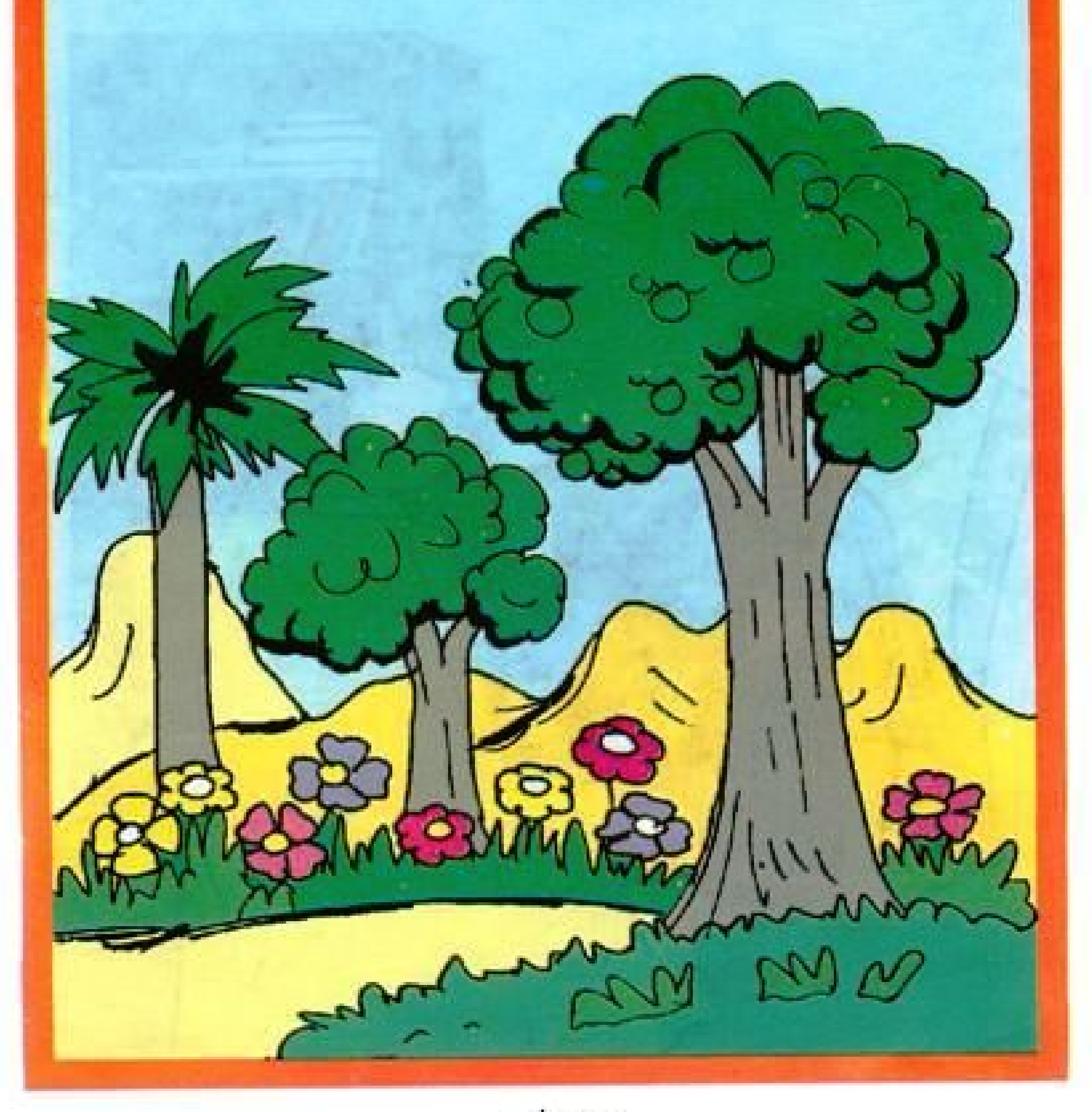
٧ ـ قال هشام : أعلَم يا أبي أنَّ « التَّوَّابَ » اسمٌ من أسماءِ اللَّهِ الحُسنَى ، وأحبُّ أن أعرِفَ معناه . قال والِدُه : إنَّ اللَّهَ ـ سُبحانَه وتعالَى ـ شرعَ التَّوبةَ رحمةً بِعبادِه ، فلو لم يشرَعها لكانَ كلُّ من ارتكبَ مَعصيةً مَصيرُه إلى النَّار ، فإذا عرفَ المُذنبُ ذلك ، يَئِسَ من رحمةِ اللَّه فازدادَ في مَعصيَتِه ، وعانَى المُجتمعُ من شروره .



٨ ـ قال هشام : حقًا يا أبى ، فاللّه ـ تبارك وتعالى ـ يُعطيهم الفرصةَ ليتوبوا . قال والِده : شرع اللّهُ التّوبةَ رحمةً بالمُذنِب أوّلا ، ثمّ رحمةً بعبادِهِ ثانيا . فالّذى أخطأ وعصى يجدُ بابَ التّوبةِ مفتوحا أمامَه ، ليعودَ إلى مَنهج اللّه ، فيسرعَ إلى التّوبَةِ علّه ينجو من النّارِ ويدخُلُ الجنّةَ .



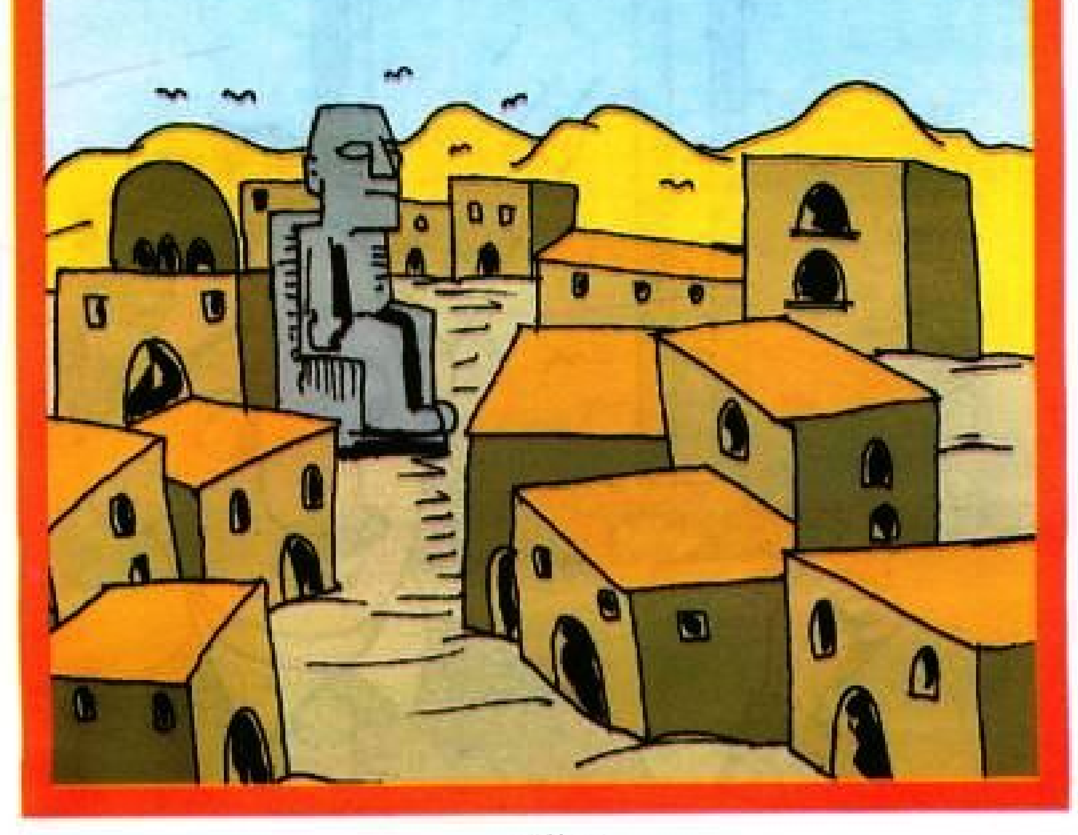
٩ ـ قالَ هشام : هل ورد اسمُ « التَّوَّاب » في القُرآنِ الكريمِ يا أبي ؟ قال والِدُه : نعم ، وردَ في ستِّ آياتٍ شريفة ، مثلَ قولِ اللَّهِ سُبحانَه وتعالَى : ﴿ فتلقَّى آدمُ من ربِّهِ كلماتٍ فتابَ عليه ، إنَّه هو التَّوَّابُ الرَّحيم ﴾ فبهذه الصِّفةِ قبِلَ التَّوبةَ من أوَّلِ عبدٍ من عِباده ، لأنَّ آدمَ عليه السَّلامُ هو أوَّلُ من تابَ من البَشَر .



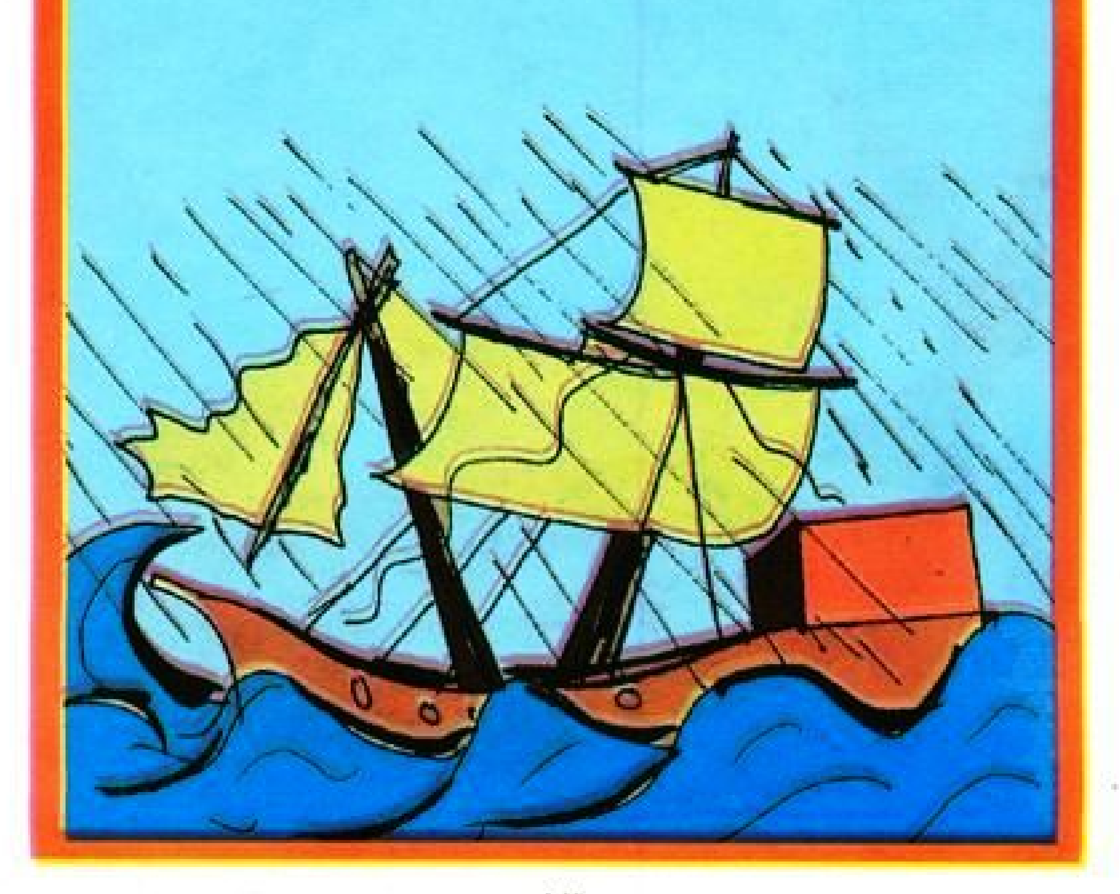
١٠ ـ قال هشام : أعلم قصَّته يا أبى حين عصَى أمرَ اللّهِ وأكل من التُفَاحَة . ولكن هل هناكَ نَبيٌّ آخرُ أخطأ فتابَ اللّهُ عليه ؟ قال والِدُه مُبتسما : نعم ، هناك موسَى عليه السّلام ، حينَ ضربَ المِصرِىَّ فماتَ دونَ أن يقصِد أن يقتُلَه ، وهُناك يونُس حينَ خالفَ أمرَ اللّهِ وترك قومَه . قال هِشام فى شوق : هلاّ قصَصْت علىّ قِصَّةَ يونُسَ يا أبى ؟



١١ ـ قال والِدُه : كانَ يونُس نبيًّا أرسله اللّهُ تعالى إلى قَومِه ، فراحَ يذكّرُهم بعِبادةِ اللهِ الخالقِ الرّازقِ المُستَحِقّ للعِبادة ، ولكنّ أحدًا لم يُصدِّقه ، حتّى امتلأ صدرُه باليأسِ مِنهم ، فغضِبَ وقرَّر أن يَهجرهم ويكُفَّ عن دعوتِهم ويرحلَ عنهم ، ولم يكن الأمرُ الإلهيُّ قد صدرَ ليونُسَ بهجرهم والتّخلّي عن دعوتِهم .



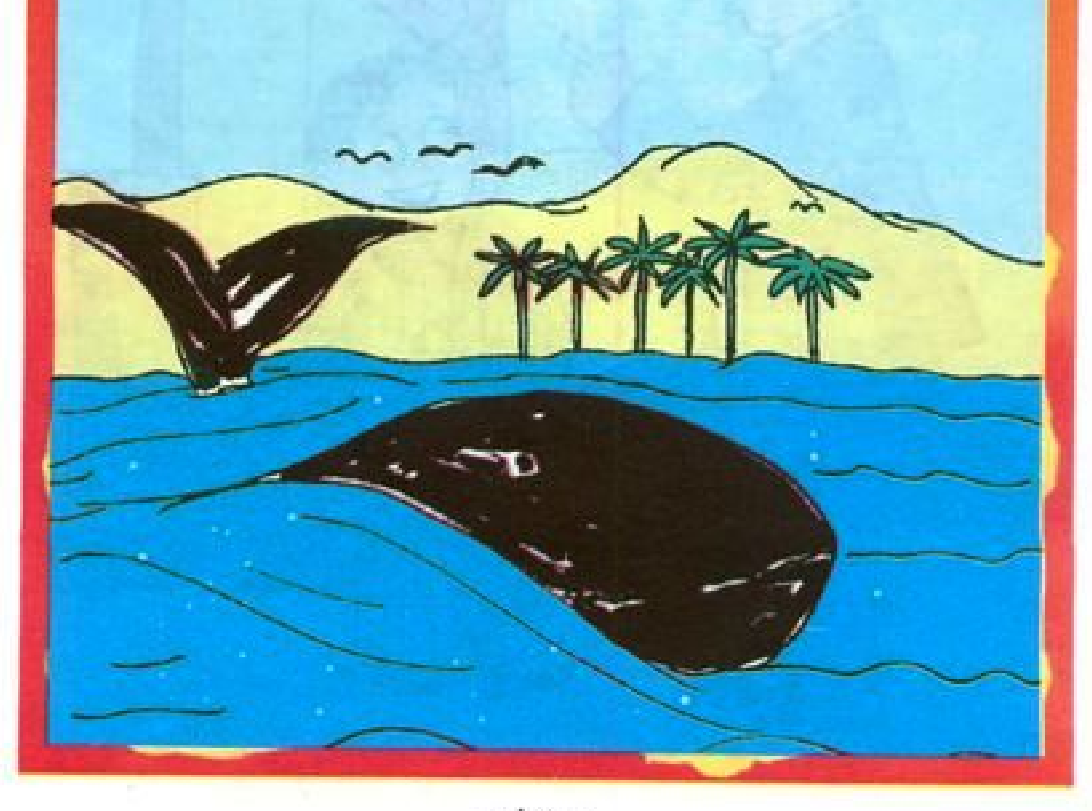
١٢ ـ كما لم يكن يونُسُ ـ عليه السّلامُ ـ يظنُّ أن يُعاقبه اللّـهُ على هَجرِ قومـه ، فتوجَّه إلى شاطئِ البحر ليركبَ سَفينةً تُقِلُّه إلى بلدٍ آخر ، حيث يجدُ أناسًا غيرَهم يقبلون دعوته ، ويُؤمِنـون بها . فرأى سفينةً فى الميناءِ فركِبَهَا ، وما أن حلَّ اللّيلُ حتّى هبَّت عاصِفـةٌ شديدة ، وراحت الأمواجُ تَتقاذَفُ السَّفينَة ، وهطل المطرُ غَزيرا ، فزادتْ حمولَةُ السَّفينةِ وكادتْ تَنقلِب .



١٣ ـ وألقى رُكَّابُ السَّفينةِ متاعهم فى البحر ، لتخِفَّ حمولةُ السَّفينَة ولكنَّها ظلَّت ثقيلة . فاقترحَ الرُّبَّانُ أن يُلقى أحدُ الرُّكَّابِ نفسه ، لتخفَّ حمولتُها ، وأجروا القُرعةَ ثلاثَ مرَّات ، فوقعت فى المرَّاتِ الثَّلاثِ على يونُس ، فألقى بنفسِه فى الماء . وبَعثَ اللَّهُ حوتًا كبيرا تلقَّف يونُس وابتلَعه . ووجد يونُس نَفسَه فى بطنِ الحوت فى ظُلماتٍ ثَلاث : هى ظُلمةُ الليل ، وظُلمةُ أعماقِ البَحر ، وظُلمة جوفِ الحوت .



١٤ ـ هنالِكَ أدركَ يونُس أنّه أخطأ في حقّ قومِه ، فراحَ يُسبّح بحمدِ ربّه ﴿ فنادى في الظُّلماتِ أن لا إلهَ إلاّ أنتَ سُبحانَك إنّي كنتُ من الظالِمين ﴾ فتابَ اللّهُ عليه ، وأمرَ الحوتَ فلفظه على الشاطئ ، وشفاه اللّهُ ممّا أصابه ، وأرسلَه إلى مائةِ ألفٍ أو يزيد لِهدايتهم . وهكذا ترى يا هِشام أنّ اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ يتقَبّلُ التّوبة ويُحبُّ التّوّابين .



١٥ ـ قالَ هِشام : سوفَ أُخبِرُ زُملائي في المَدرسة ، ليَبتعدوا عن الأذى ، ولا يُكرّروا أخطاءَهم ، وأعرِّفُهم معنَى اسمِ « التَّوّاب » .

قال والِدُه : « وأنا كذلك سأخرُجُ إلَى النّاس ، وأعَرِّفُهم أن يَقبلوا توبةَ العمّ حامد ، ويَعفوا عنه الأذى ، فاللّهُ سُبحانه وتعالَى تَوّابٌ رَحيم .

